

المخطوط الأول...

"يا سلطنة الوردية المقدسة صلي لأجلنا"

باسم يسوع ومريم ومار يوسف إني أنا الأمة الحقيرة الأورشليمية، أبدي بإيضاح وإيجاز جزءا وجيزا من إنعامات أمي سيدة الوردية طبقا لأمر من لا تسعني مخالفته وهو مرشدي الروحي الحقيقي حضرة الأب يوسف طنوس المحترم وقد حدث ذلك في الثامن من تشرين الثاني 1879.

فإليك التجي أيتها البتول أمي القديسة طالبة المعونة متوسلة إليك أن تثيريني وتلقيني وصف جزء مما تكلمت به علي من وفرة إنعاماتك وإحساناتك إلي أنا الحقيرة العديمة الاستحقاق. فأرشدني وحركي يدي لأكتب دون غلط الحوادث الصعبة التي لا يتيسر لي إثباتها كما هي غير أنني بعد اتكالي عليك أشعر في شرح ما حصل لي منذ عام 1874 إلى هذا اليوم فباركي يدي بيمينك القديرة وأنيري عقلي ونجيني من الزلل.

في السادس من شهر كانون الثاني 1874 يوم عيد الغطاس كنت أتلو السبحة الوردية على إنفراد في محل مزين للاحتفال بعيد ميلاد ربنا يسوع المسيح له السجود، ذلك في المدرسة الرعوية في بيت لحم، فما وصلت إلى تلاوة السر العاشر من أسرار الوردية، وأنا أتأمل فيه بإمعان حتى شعرت بقلبي يضطرم اضطراما شديداً بمحبة أمي مريم البتول وتجلي لي بغنة نور عظيم بهي جميل لا يسعني وصفه وظهرت لي فوراً الأم الحبيبة سيدة الوردية بشكل الصورة التي أثبتتها فيما بعد، فقد رأيتها منتصبية وسط غيم يتلألأ نوراً وشاهدت يديها مبسوطتين ولونها أبيض لامعا يتعذر علي وصفه وشرح جماله وكانت السبحة الوردية معلقة على الصليب يزين صدرها وهي منحدره على يديها وعلى قامتها بهيئة مدورة ورأيت في عقدة بيوت السبحة أنوار نجوم بوسط كل نجمة السر المختص به يمثل السر تمثيلاً جميلاً بهيئته، ولاحظت لي أبيات الوردية الخمسة عشر في وقت واحد مع ظهور أمي الحلوة وكان فوق هامتها إكليل من نجوم مؤلف من خمس عشرة نجمة وتحت قدميها سبعة أنجم غائصة في الغيم تمثل أسرار أحزان مريم أمي وقد نظرت هذه المناظر كلها في وقت واحد. آه ما اسعد ذلك الوقت! وما أعذب ما شعر به قلبي من الشغف والحب مما يتعذر علي شرحه يا لها أما جميلة لا يتيسر لي وصفها ولا أرى صورة تحاكيها جمالا وبهاء على أنني ما نظرتها عيني المرة الأولى حتى أخذت اسكب الدموع الغزيرة وشغفت بمحبتها وانفتحت يداي وارتفعتا لمعانقتها وضمها إلى قلبي، وبينما كانت تلك العواطف آخذة بمجامع قلبي كنت أراها تزداد لمعانا ونورا وهي تروم الدنو مني، وقد منحنتي هدوءاً وحرية لكي أتأملها جيداً فشاهدت الصليب على صدرها والسبحة على ذراعها ويديها وقامتها كلها ورأيت أسرار الوردية تزداد بهاء ونورا وتوعبني حبا وشجاعة فدنوت منها.... وبعد هذا لست أدري ما حدث لي إنما أعرف أنني مكثت في هذا الاختطاف الحلو من الساعة التاسعة صباحاً إلى الساعة الأولى بعد الظهر فغابت عني حالا وتركتني بهدوء وسلام وتعزية روحية فائقة الوصف واشتياق عظيم إلى رؤيتها ورغبة قلبية شديدة في ممارسة أعمال عظيمة شتى وفضائل وافرة حبا للخير العام وحبا لها ولا سيما ممارسة الإمامة الداخلية القلبية والانتباه الشديد إلى هذا الصنع النافع الخلاصي. فصرت مذ ذاك أنكر على قلبي حتى كل عاطفة حلوة لذيدة وأميت ذاتي في كل نوع استسهله. وقد تشرفت بزيارة أمي الحبيبة فأصبحت مجردة من كل عاطفة أرضية ومن كل ما يؤول إلى الزوال وغدوت متعطشة إلى احتمال كل صعوبة وكل مشقة مهما كانت وصرت استحلي كل مرارة وعذاب وأحسب الأفراد فردوساً لذيداً والطاعة بهجة لقلبي وروحي واستسهلت

تتميم أوامر رؤسائي ومراسيمهم بمحبة لا توصف وأفاضت أمي علي غزير الفضائل دون استحقاق مني أو تعب للبلوغ إليها وقد أحرزت هذه الجودة كلها كرما من فضلها الوالدي.

في اليوم الأول من الشهر المريمي في السنة ذاتها، إذ كنت متوجهة إلى مغارة السيدة أم الحليب في بيت لحم أتلو السبحة الوردية في الطريق كعادتي وألفظ " السلام لك يا مريم" سمعت صوتا حلوا يقول لي " السلام لك يا مريم" فرفعت عيني نحو السماء فإذا بأمي الحبيبة وقلبا مفتوحا تمرّ أمامي بين السحاب وما عتم أن ظهرت لي ثانية حتى إذا دنوت من المغارة ظهرت لي ثالث دفعة ولبثت زمانا حتى شفيت غليل أشواقني بعذوبة بهجتها ثم غابت عني وقد حفظت هذه الرؤيا في قلبي سرا لئلا يفهم أحد ما الذي حدث لي. وكنت أقول لها أثناء صلواتي يا أمي ما لك تتساهلين وتزوريني هل نسيت إني خاطئة عظيمة وقد ارتكبت ألوفا من الآثام! وكنت أقول لها متعجبة: أخاف أن يكون هذا غشا وتجربة لأنني مقتنعة أنني لا أستحق البتة هذه الإنعامات السماوية. ثم أنني كنت أصلي بلا ملل وأسكب الدموع الغزيرة وأسأل الله تعالى أن لا يدع الشيطان يخدعني ملتزمة منه بكل قلبي أن يبعد عني كل خداع وتجربه وغلظ بجاه محبة أمي.

في اليوم الحادي والثلاثين من الشهر المريمي إذ كنت منفردة وقت المساء في المحل الذي ظهرت لي مريم أمي أول مرة أتلو الوردية حسب عادتي ظهرت لي أمي بغتة ظهورا ثانيا فرسمت جبتي بإشارة الصليب وشاهدتها بنور صاف كالإبريز والمسيحة الوردية بين يديها كالمرّة الأولى يكتنفها خمس عشرة نجمة وتحت قدميها سبعة نجوم مكتوب عليها بحروف ذهبية لامعة أفراح مريم البتول وأحزانها وشاهدت فوق إكليلها مكتوب بتولات الوردية السريّة ضمن نور صاف وكانت الكتابة أيضا بنور صاف يتعدّر عليّ تشبيها وشرحها بالكلام فسكبت قلبي حين ذاك بمحبتها وتمتعت برؤياها الحلوة العجيبة وهي وحدها تعرف ما خالج قلبي حينذاك من عواطف المحبة التي التهب بي من كرمها وعلى هذه الصورة غابت وتركتني كأني في فردوس سماوي وأصبحت حالتي حالة محبة لا يمكن شرحها.

مساء عيد الغطاس سنة 1875 كنت في محل الوردية ذاتها أتأمل في عظم سمو محاسن أمي مريم وأخجل من عجزني عن الإقتداء بفضائلها فأخذت ألتمس منها نعمة فعالة تجعلني أن أقتدي بها في ما تبقى لي من حياتي لأن ما قضيت من عمري قضيت بالخطايا عوضا عن الفضائل تلك حسرة قلب شديدة ما برحت أشعر بها وأقول متأسفة أواه ليتني أبدا اليوم حياتي فكنت بعون الله تعالى أعيش أحسن مما عشت إلى الآن فلما كانت تتجادبني مثل هذه الخواطر والعواطف شعرت بأفكاري مجتمعة اجتماعا غريبا ورأيتني غارقة في بحر جوده تعالى وأبصرت نورا عظيما بهيا جميلا يبهج النظر ولا يزعجه أبدا. فتعزى قلبي إذ ذاك وظهرت لي أمي الحلوة في وسط هذا النور حاملة الوردية كالمرّة الأولى إنما بجمال أبهى وأكمل مما سبقت فرأيتته وشاهدت صفين من البنات إلى يمينها ويسارها هيأتهم كهينتها وثيابهن كثيابها ولمحت حروفا نورية مكتوبة في ذلك النور معناها " بتولات الوردية " رهبة الوردية". وإذ ذاك سمعت صوت أمي ضمن قلبي وهي تقول: " أريد أن تبندني رهبة الوردية . "

وكانت تنظر إليّ نظرة عطوفة أفعمتني لذة وعذوبة وسالت الدموع الغزيرة من مقلتيّ وأصبحت كأني في فردوس سماوي. وأوعبتني تعزيات حلوة وغابت وتركتني على هذه الأرض جريحة محبتها، غير أنها بعد هذه الزيارة العجيبة أبتت في أثرها غريبا هو نور مريمي انطبع في عيني لا يسعني إلا السكوت عنه لأنه يتعدّر عليّ شرحه. وقد فهمت مما حدث بي معنى هذه الكلمات وهي " ما هو مستحيل عند الناس فهو ممكن عند الله " وقد غدوت أنظر ذلك مرارا شتى لا تعدّ ولا تحصى في كل مكان وفي كل أوان وخصوصا وقت احتياجاتي. فإنها كانت تسرع إلى معونتي وإنقاذي بنوع أنظره بعيني، وكانت تلقني بنوع أفهمه إشارات منظورة

تدلني على بعض أمور مستقبلية وقد منحنتي عبادة حارة ليسوع إلهي في القربان الأقدس وتلاوة السبحة الوردية وممارسة رياضة درب الصليب فكنت أرغب أن أميت ذاتي وألاشي جسدي حبا لذلك الإله الذي أخلى ذاته ومات لأجلي.

ما مرت ثلاثة أيام على ذلك حتى حضرت إليّ إحدى بنات الأخوية تقول : إنها بينما كانت تحضر القداس ألهمت أن تبلغني أن أنشئ رهينة على اسم الوردية المقدسة ينضم إليها بنات جنسنا فقلت لها: يلزمنا أن نصلي إلى أمنا مريم البتول كي نعرف إرادة الله تعالى في ذلك وبعد قليل كثر عدد البنات اللواتي أخذن يقدمن صلوات حارة وينشئن أعمالا صالحة ويعكفن على الصوم والإماتة والأتعاب الشديدة الوافرة لنوال نعمة إنشاء رهينة الوردية المقدسة، وما أحلى عيون المحبة التي أفاضتها العذراء بجودة وسخاء على بنات جنسها المحتقرات من جميع القبائل. وفي تلك الغضون رأيت في الحلم أمي مريم البتول يحيط بها بنات عديدات متشحات بثياب بيضاء وزرقاء كما رأيتها سابقا غير أنهم في هذه المرة كنّ متسريلات بثوب من نور. وإذ ذاك قبضت مريم على يدي شديدا وقالت لي: " أريد أن تؤسس رهينة الوردية أما فهمت بعد هذا؟ " فقلت لها: إني حقيرة فقيرة أرجو منك أن تقبلي أختي حنة وتمهدي إليها هذه الخدمة أرجو أن تنعمي عليها بأن تكره الدنيا وتنصرف إلى محبتك وخدمتك الشريفة، أما أنا فلن أعض عن ذلك لكني مستعدة لكل تعب تقتضيه الرهينة. قالت : إني أقبلها وفقا لطلبك فاتكلي على رحمتي ولا تخافي، فإني كما سبقت فأعنتك في إنشاء ثلاث أخويات باسمي وقد نجحت تلك الأخويات بمعونتي هكذا أشير عليك أن تنشئي هذه الرهينة وأنا أعينك وكوني على ثقة أن أخوية الوردية ورهينتها ستنتج وتتوطد إلى يوم الدينونة بشرط أن تباشريها طبقا لأمرى وإلهامي. ثم أمسكت بيدي شديدا وعلقت في عنقي الوردية التي كانت بيدها وقالت لي: " أنا أمك أعينك وأساعدك" حينئذ تركت يدي وقالت : " باشري العمل واقصدي بادئ بدء البطريك منصور وبغية ذلك فهو يدبرك لأنه بالوردية سيصير نجاح روعي في جميع إرساليات أبرشيته وفي غيرها" ثم غابت عني وأفقت من نومي.

ما كنت أصلي يوم عيد اسم يسوع شاهدت وسط نور عظيم علامات هائلة مريعة تدل على حرب شديدة، ورأيت جماهير غفيرة معهم صليب وقد فازوا بالغلبة في تلك الحرب، وبعد هذا ظهرت لي البتول أمي بصحبها عذارى الوردية وكان على صدرها صليب وهي تنظر إليّ بعين الحنو والعطف فخدمت قلقي وأعدت لي السلام وسكنت على قلبي تعزية أزاحت عني ما لحقتني من الحزن لدى مشاهدتي تلك الحرب الشديدة، وبعد هذا تغيرت حالتي فكنت تارة أتعذب عذابات فادحة باطنا وظاهرا وطورا كنت أتعزى بمنظر بهية عذبة حلوة يتعذر عليّ وصفها وكانت سيدة الوردية تفتقدني مرارا شتى بأنواع تفوق العقل البشري فأقول حينذاك إن جودة أمي مريم لا حد لها وأن الأسنة تعجز عن شرحها وأن لا كتب ولا صور تستوعب تفسيرها وتمثل جمالها. ثم أهتف قائلة طوبى لمن يتمتع بها سرمدا. وقد أصبح عقلي وقلبي متشبثا بالصلاة العقلية واللفظية بحيث أن صلاتي هذه كانت ترافقها غالبا دموع غزيرة وكانت التعزيات الروحية تفاض عليّ على أثر عذابات قاسية شديدة فكنت أكرر هذه العبارات ربي والهي امنح نعمك ومواهبك الكريمة لمن يستحقها ودعني أنا الذليلة الحقيرة أبكي على كثرة آثامي وعلى خطايا حياتي الماضية فإن قلبي عاجز عن قبول تعزيات عظيمة هكذا فامنح هذه التعزيات لمن أرضاك دائما، أما قلبي فإنه غير كفؤ بصلاحك وأتمك الحقيرة لا تستحق رفعة الأعباء. بعد هذا قصدت زيارة غبطة البطريك منصور وشرحت له بصعوبة شديدة حال نفسي وموقفي. غير أن المحبة الذاتية صدتني عن أن أطلعها عن تأسيس رهينة الوردية. فاستشرت غبطته في أمور كثيرة روحية وعرضت عليه ما ظهر لي من إنعامات البتول أمي وما قيل لي عن سيدنا يوسف فاليركا وعن الحرب وعن كل ما شاهدته في الجو وفي أوقات الصلاة وعا كنت أعرفه عن بعض أشخاص. فأرشدني غبطته وهدأ روعي بتعليماته الصافية المقدسة. وأمرني أن أكشف ضميري للأب أنطون بللوني وأمثل نصائحه وأوامره، وأوصاني أن أراجعه وقت الضرورة وحرّضني على استئناف الصلوات ومواصلة السبحة الوردية قائلا : إن كثرة الصلوات تنفع دائما.

لما كنت اسمع القديس في كنيسة مهد الميلاد ببيت لحم يوم عيد الغطاس لاح لي بعد كلام التقديس نور ساطع صاف فوق الكأس ثم ازداد ذلك النور وانتشر فوق المذبح وظل الكاهن وكنت أرى أحيانا أن أشعة ذلك النور تنبسط وتمتد إليّ، ثم شاهدتُ نورا بهيّا انبثق من الذبيحة ووصل إليّ فأبصرت أسرار عيد الغطاس بصورة فائقة الوصف وبهينة جميلة جدا لا أستطيع إلى التعبير عنها سبيلا، شاهدتُ الطفل الإلهي يسطع نورا وبهاء والقديس يوسف يتفرّس فيه أحيانا، وأحيانا في أمّه ساجدا بالقرب منهما، ورأيت الملوك الثلاثة وهداياهم بشكل عجيب جدا ثم شاهدتُ مار يوحنا يعمّد يسوع والماء كنور يُسكب عليه، ولم أكن حينذاك أعرف أو أدرك ما أراه. فكأنّي بكليتي كنت إذ ذاك بالله. ثم غاب هذا المنظر وأصبحت في سكون عظيمة وامتلا قلبي حرارة وحبًا لله تعالى وشعرت في ذلك اليوم بقوة مكننتي من حضور خمسة عشر قداسا جاثية مبتهجة وقد تجددت لي هذه الرؤيا خصوصا لدى سماعي القديس الخامس والقديس العاشر والقديس الخامس عشر. وعلى أثر ذلك تجلّت لي سيدة الوردية وحولها العذارى يسجدن للأسرار الإلهية وحدثت حركة ظريفة عند آخر الرؤيا يتعذر عليّ شرحها فإنّ شعاعا نوريا انبثق من أمي البتول ونفذ فيّ فغدوت حينئذٍ جريحة محبتها وسكنت دموعا غزيرة.

وتأجج قلبي بنيران المحبة لله وللبتول ثم خرجتُ من كنيسة المهد أردد السلام الملائكي شاعرة بقوة عظيمة للاحتمال وبمحبّة غريبة ملكتُ عليّ في مسيري وكانت أمي المحبوبة ترافقتني في طريقي على شكل نجمة بهيّة، وما برحتُ هذه النعمة ملازمة لي، تغيب طورا، وتظهر طورا وتنعطف وتمكث معي وتعزيني، على أني بعد مشاهدتي هذه الرؤيا في القديس الإلهي أصبحت أشاهدُ في كل قداس وفي كل زياح قربان أحضره نورا ساطعا ينبثق منه شعاع يخرق قلبي فأرى ربي والهي يسوع المسيح كإله وإنسان متلأنا بأنوار لطيفة حلوة فائقة الوصف وأرى معه أمي البتول الحنون، وأبصر في ذلك النور أسرار مواسم الكنيسة واحتفالاتها وأعياد القديسين، كل قديس يوم تذكاره مع شارات أعذبهم التي أهدوا بها حياتهم فأشعر بما يشعرون من الراحة وبما يتمتعون من المجد، فأتعزّى جدًا بتذكاراتهم ولا سيما تذكارات أمي البتول وأبتهج باستمرار تلك الأنوار تجاهي زمانا طويلا وتجديدها مرارا عديدة على أني لا أستطيع أن أعبّر عن جودة الله وكرم أمي وإحسانهما إليّ مهما اجتهدت ومهما حييت كما أني لا أقدرُ أن أوفيهما حقوق الشكر على ذلك. ولذا فإني أرجو من مراحمه تعالى أن ينعم عليّ أن أمجده سرمدًا في الأبدية السعيدة التي أتوقعها، غير أني كنت أكرر عبارات وعواطف بفي وقلبي وأقول: أوّاه يا ربي إن كنت تجود هكذا بتعزيات على خطاة لا يفتشون عنك فما عسى أن تكون محبتك لأصدقائك وأوفيانك.

ويوم عيد الغطاس أيضا عام 1876 تجلّى لي في مهد الميلاد نور وقت القديس أبهى وأجمل من ذي قبل في حال هدوء وصفاء رائع جدا ولاحت لي فيه أسرار الوردية وأسرار هذا العيد المجيد وسيدة الوردية في زمرة من العذارى حولها وسمعت ذلك النهار عشرين قداسا بانتباه كامل لم أشعر به فيما سلف، فكنت أشاهد الكاهن والمذبح مجلّين بأنوار كانت تدنو مني وتتلاشى، فأتصور أني مضيئة بجملتي بتلك الأنوار خائفة من أن يراني أحد شاعرة بشيء حلو مبهج غير اعتيادي فكنت أغمض عن ذلك ثم كنت أشعر بمثل هذه الأنوار بعد تناولي اليومي، وكانت تلك الأنوار تلبث زمانا أطول أيام المواسم فأشاهد فيها وفي سيدة الوردية أمي وفي هذا النهار ازدادت نعمة الله عليّ بعد التناول فأبصرت غيمة فوق رأسي وتجاهي يتوسطها يسوع حبيب نفسي بصفات شتى، فكان يريني أحيانا حال الذين كنت أتضرع إليهم من أجلهم وما سيحدث لهم، وهذا كان يدوم كل مدة الشكر ثم ينتهي، وكنت أشعر بمحبّة وحرارة لمباشرة أعمال عظيمة صالحة واحتمال عذابات شديدة حبا له تعالى. ولو سوّغت لي الطاعة لضحيت بذاتي ولاشيتها حبا ليسوع إلهي، وقد تحولت مذ ذاك الإماتات إلى راحة و الاضطهادات إلى فرح. وصرت أعتبر التوبيخات كأنها إكرامات ومدائح فلا أحتملها

بصبر فقط بل أفتش عن فرصة للاحتمال والعذاب. لبت شعري ممّن حدثت لي هذه الحالة العجيبة إلا منك يا الهي يا من غيرتني! فلك الشكر دائما . وبعد هذا أخبرت مرشدي بحالتي هذه وطلبت مشورته في كل شيء فعلمني كيف يلزمني أن أسلك وأوصاني بأن أكرم ذلك كله كتمانا عميقا وأمرني أن أصلي تساعية التمس من أمي البتول لتلقيني ما تريده مني وأهيب ذاتي لخدمتها في كل شيء.

ثم وعدني بأنه يصلي لأجلي في القديس مدة هذه التساعية، ولما أنهيتها رأيت هذه الرؤيا: رأيت مريم البتول أمي يحيط بها جمهور من البنات متوشحات بثوب رهباني أزرق وأبيض وكانت أمي مريم متوشحة مثلهن، وكعادتها نظرت إليّ بعطف وأخذت تخاطبني قائلة: " متى تباشرين رهبنة الوردية؟ " تشجعي وتممي أمري، أما فهمت؟ إنني أريد رهبنة الوردية، رهبنة الوردية فإنها مزمنة أن تنزع من الأرض كل شر وبلية "، فقلت لها: يا أمي امنحيني الوسائط اللازمة فإني مستعدة، قالت: " إن الوردية هي كنزك فاتكلي على رحمتي وثقي بالجوهر الإلهي القدير وأنا أعينك" ثم ألفت إليّ السبحة من يدها وغابت.

وليلة أخرى رأيت يسوع طفلا وأمه، فصرخت قائلة: يا أمي، وجثوت على قدميها فأنهضني يسوع ومدت أمي مريم يدها فقبلتها آه ما أعذبها! ثم دخلنا معا إلى محل اسمه الفردوس. وكفاني هذا الاسم لإظهار غبطتي هناك، شاهدت فيه مار يوسف العظيم شأنه فسألته كيف أعمل لأبشر رهبنة الوردية مع أمي في رهننته، قال: " أني أريد أن تصنعي بفرح ما أنت مدعوة إليه" ولاح لي بغتة نور عظيم تجلّت فيه مريم أمي ومعها يسوع الحلو، وخاطبني إذ ذاك مار يوسف قائلا: " إننا قد فرحنا وحرنا وتمجدنا معا " فأريد إن تخرج من رهننتي الوردية، ثم أمسك بيدي وقال: امضي بسلام واعلمي أنه في هذا الشهر تذهيبين لمباشرة دعوتك هذه بإنشاء رهبنة الوردية وانتهت الرؤيا إذ ذاك وأفقت.

شعرت منذئذ بفرح وثقة عظيمة وأصبحت بحالة شوقتي إلى النهوض بأمر أمي مريم بكل قلبي، غير أن ذلك تعذر عليّ لأن مرشدي كان متغيبا في سفر بعيد.

أما البنات الملهيات بالانخراط في سلك الرهبنة فكنّ يثابرن على الصلاة والتقشف لمنال هذه النعمة على رغم الخوري الذي كان يمانعهن ويستهنئ بهنّ وبالتماسهنّ من الله تعالى رهبنة الوردية. فأصبحنا والحالة هذه لا معين لنا سوى الله عزّ وجلّ. وكنا حزاني حيارى من تصرف ذلك الخوري على أنه في تلك الأثناء ظهرت لي أمي في الحلم قائلة: " إن هذا الخوري لا يحبني فقولي للبنات أن لا يفاتحنه في شأن رهننتي". وبعد هذا تعذبت شديدا وتعزيت أيضا كثيرا. وكان عذابي بمقدار تعزيتي. ولم أسمع بعد كلاما في الرؤيا أبدا إنما كنت أشعر بالهامات شتى لاصطناع خير خصوصي وبوسائل تسهّل إنجازها. وهكذا لبثت زمانا دون مرشد مما سبّب لي عذابا أليما. فكنت أتوسل إلى الهي بدموع غزيرة كي يهيب لي مرشدا صالحا خبيرا يفهم حالتي فيرشدني ويدبرني حسب قلبه الأقدس. غير أن الخوري المؤمنا إليه كان مرشدنا في تلك الأثناء فكان يضطهد البنات ويحرّج عليهنّ طلب رهبنة الوردية، وأنا لم أكن استصوب أن أكشف له ضميري، غير أن تعزز الحصول على إذن يجعلني أستغني عنه اضطرني أن أستشيريه كرما مني وخيفة أن يعريني في موقف كهذا خداع شيطاني أو غلط يفيض بي إلى الهلاك، فاتكلت على الله وكشفت له شيئا عن حالي لأنعلم كيف أسلك في هذه الطريق الصعبة الخارقة العادة، وكنت أردد هذه العاطفة: " يا ربي ألهمني فإنك أكرم دليل."

بناء عليه قصدته في 18 أيار متكلة على معونة مريم أمي وشاورته ثانية في أمري بكل اتضاع واحتشام، فلم يصدقني بل قال لي: تلك أحلام وخفة عقل. ثم أمرني أن أقبل الأرض وألتمس من الله أن يغفر لي هذا الكلام الجسور وأشار عليّ أن لا أنظر إلى صورة أمي البتول قطعا أينما كانت ولا أدنو من هياكلها أصلا. وأنها إذا تجلّت لي بعد ذلك يلزمني أن أكون بالصلاة وأتسم بإشارة الصليب

بالماء المبارك. وحثّ عليّ أيضا أن لا أرفع عيني أبدا وقت القداس ولا أنظر هذا النور الظاهر وإذا نظرته لزمني أن أحسب كم مرة نظرته وأقر معرفة ذلك. ثم صدّتي عن تناول اليومي وأباح لي تناول مرتين في الأسبوع فقط، على أني خضعت بقلب سليم لكل ما أمرني به وأتمته على رغم ما انتابني من الألم والعذاب فكنت أتنفس الصعداء وأقول: ما أفسى هذا الإرشاد! وما أشد توجع قلبي! غير أنه إذا كان الأب قاسيا فإنّ الأم حنون عطوف، أجل إنها تحننت عليّ وأصبحت تتجلى لي أكثر من ذي قبل وتدنو مني وتلج إلى قلبي وتفعمه لذة فيغدو كفردوس سماوي، وهكذا لما كنت أتناول تناولا روحيا كانت أمي البتول تدنو مني أيضا ملتحفة بأنوار ساطعة حاملة بيدها شيئا من نور مدور وتلج في قلبي فأشعر كأنني أتناول القربان الأقدس حقيقة وأحسّ بحلاوة عسلية تتصبّب بغمي فأؤجل تناول الطعام قدر ما يمكن خيفة أن أفقد تلك الحلاوة الغريبة، وأصبحت أراني منيرة أكثر من قبل حتى أني ما كنت أجسر أن أغسل وجهي لنلا أخسر هذا النور، وكنت أنتبه ليلا وأشاهد نورا عظيما في الظلام، وعند انتباهي كنت أسمع نافذة من مدائح مريم أمي وأشعر بيدٍ لطيفة تمسكني وصوت يخاطبني قائلا: "السلام لك يا مريم" فينتعش قلبي بمحبة أمي وأتلو الوردية بأجمعها، على أن المرشد لما حرّج عليّ تلاوة الوردية صرت أعوِّض عنها بالتأمل في أسرارها فكنت أتمم أمر مرشدي بتدقيق معتقدة أن الطاعة هي تعزيتي وعذوبتي وفردوسي، وقد منحنتني أمي هذه النعمة منذ حدثتي كرما منها، وبعد مرور ثلاثة أشهر على هذا الإرشاد القاسي استدعاني مرشدي وسألني هل أكملت جميع أوامره ونواهيه واستفسرني عما عرض لي فصرحت له بأنني أنجزت أوامره حرفيا وأن أمي دبّرنتني في تلك الأثناء فأمرني أن أسألها متى رأيتها عمّاذا تريد مني ولما تجلت لي سألتها فلم تجبني لأن في تلك الغضون لم أكن أسمع كلاما روحيا بل كنت أشاهدها في ذلك النور ضاحكة مبتسمة تعزيني.

وبعد هذا تراءت لي في الحلم قائلة: "باشري رهبنة الوردية وأنا أعينك" ثم غابت عني وانتبهت من رقادي، وقصدت مرشدي وأطلعت على ذلك في سر الاعتراف، فاستأنف تصرفه القاسي معي مدة سنة كاملة ويوم واحد، وبعد هذا سمح لي أن أتناول يوميا وأتلو الوردية وأدنو من مذبح أمي وأزينه وأستعمل الإماتات الجسدية التي سبق فمنعني عنها وأنظر إلى القداس، وأطلق لي الحرية التامة لعبادة مريم أمي. في السنة 1877 بعد تناول شاهدة إذ ذاك يوم عيد سيدة الوردية يسوع إلهي متألنا بنور عظيم وعزاني جدا ثم تغيّر شيء من ذلك النور فنظرت به ديرا مدورا على شكل سبحة سيدة الوردية واقفة على سطحه يحيط به خمس عشرة نافذة في كل منها راهبة من راهبات الوردية وعلى هامة كل منهنّ اسمها واسم أسرار الوردية هكذا: مريم البشارة، مريم الزيارة، مريم الميلاد، وهلمّ جرا، ورأيت ذاتي في النافذة العاشرة باسم مريم الصليب، وكانت سيدة الوردية منتصبّة فوق باب الدير تتفرس في بعواطف الشفقة والحنان وقد أفعمتني بهجة ونورا، وبعد هذا لست أعرف ما عرض لي، لأنني شعرت بأن قلبي قد ذاب من المحبة، ومن يحبّ يفهمني.

ثم رأيت أمي البتول متسرّبة بالنور وقد مدّت يدها وأمسكت يدي وفتحنا كلتانا باب الدير المذكور فأرنتني راهبات الوردية كل واحدة في موضعها تحديق بهنّ عدة بنات كل واحدة باسم سر من أسرارها، وشاهدت جمعية بنات تحيط بكل منهنّ راهبة من الراهبات، ثم انفتح قلب أمي البتول فدخلن إليه جميعا، يا له مسكنا سعيدا أعدّ لرهبة الوردية المقدسة! ورأيت ليلة كأنني في دير الوردية ومريم البتول أمي معي متوشحة بثوب راهبات الوردية مثلنا، وعدة راهبات وبنات في خمسة عشر صفا في كل صف واقفة أمي البتول بوقت واحد، وكنت أراها بالقرب مني تحادثني قائلة: " الآن نضع هذا ثم نضع هذا فكان يتم كل شيء طبقا لأمرها وكنت في تلك الرؤيا أحسب أني سكنت الدير زمانا طويلا أتلو مع الراهبات صباحا جزءا من الوردية أعني أسرار الفرح ونتلو عند نصف النهار أسرار الحزن وعند المساء أسرار المجد وكانت الراهبات يتلون الوردية بالمناوبة كل واحدة بدورها وهي ساجدة أمام مذبح سيدة الوردية وينتهي النهار بتلاوة فرض السيدة الصغير أعني فرض القديس بونافنتورا لمنال المينة الصالحة، وكنا ننهض نصف الليل

وأما مريم البتول معنا منصّبة على مذبح بهيّ لامع فنتلو جميعا الوردية كاملة ونرتل السلام الملائكي ونعود إلى الرقاد حتى الصباح.

وكانت تنشد في الدير دائما أنغام مستعذبة، وفي يومي الأربعاء والسبت كان يصير صوم خصوصي إكراما للوردية، وبعد هذا شعرت بان أمي أمسكت ببدي وقالت لي: " اصنعي مثلما نظرت" ثم أمسكتني شديدا وقالت: " كما أني أنا أمسكت ببديك هكذا أريد أن تتلى في الدير الوردية الدائمة ليلا نهارا، فحدقت فيها ورأيته تودعني فتشبثت بها بشدة محبة قلبي وابتهلت إليها أن تأخذني معها ولا تتركني، فأنهضتني بيدها إذ كنت جاثية على قدميها وشجعتني قائلة: " ستأتين معي بعدئذ عندما تتمين إرادة الله وإرادتي وتصنعي كما رأيت وكما أوصيتك واعلمي يا ابنتي انه سيصير ابتداء عمار دير الوردية في القدس بعد خمسة عشر سنة، أما أنت فبعد أن تكوني قد تعذبت واحتملت كثيرا من ذات راهبات الوردية ستأتين معي". قالت هذا وباركتني وانصرفت، فانتبهت وكأني محاطة بنور عظيم وطفقت أتلو صلوات لفظية حارة متضرعة إلى أمي الحبيبة أن توفقتني في تميم إرادتها.

آه يا مريم أمي ترى من يفهمك! بل من يمكنه أن يدرك جودتك وشفقتك على بنات جنسك ولا سيما على الحائرات في أمر معيشتهن .

ويوم سبت بعد انتباهي من النوم أخذت أتأمل أسرار الوردية واستغرقت في التأمل من دون أن أشعر أنني كنت مختطفة بمحبة مريم، فرأيت كأني في دير الوردية أمام مذبح أمي وكان عدة راهبات وبنات معي نتأمل معا قبل القداس في مقدمة يسوع إلى الهيكل، ثم نظرت ابنة عذراء دخلت باب الدير وقد أمسكت أمي مريم بيدها وببدي فدرنا بها معا وقدمناها للكاهن والكاهن قدمها لله أمام المذبح الذي كانت واقفة عليه أمي البتول والسبحة الوردية على يديها فخرت تلك البنت جاثية على قدمي أمنا مريم البتول وقبلتني، ثم طففت تتلو السلام الملائكي حتى كررته ألف مرة، وكنت أسمع إذ ذاك نغمات الملائكة يتلون معها السلام ويعدونها المرة بعد الأخرى، وكانت حينذاك خيمة بيضاء متألئة بأشعة بهية قد خرجت من لدن أمي البتول ووقفت فوق هامة تلك العذراء المتوشحة بثوب راهبات الوردية، وكانت البتول مريم تسكب عليها رويدا رويدا صبغة من الفضائل السامية التي تزين الأفسس المستعدة لقبول مواهب مريم أمي، وعند نهاية السلام الألف انحدرت الأم الحبيبة وأمسكت البنت بيدها اليمنى وأمرتني أن أمسك يدها اليسرى وهكذا سرنا ما بين أناشيد الملائكة المحيطين بأنا حتى بلغنا إلى مذبح مزدان بأفخر زينة تدبجه صورة العذراء سلطانة الوردية طبقا للصورة المثبتة آنفا، وكان المرشد المختار من أمي البتول واقفا هناك فرحب بالابنة وشحها بثوب الرهبة وباركها باسم الأب والابن والروح القدس ، ثم أخذ الوردية من يد البتول أمي وطوق بها عنقها ووضع يديه قائلا : " أثبتك باسم أفرح مريم البتول وباسم أجزائها وباسم أمجادها". ثم كلل هامتها بإكليل من ورد، ثم طفنا حول المذبح الشريف بين أناشيد الراهبات ترافقنا أمنا الحلوة والمرشد الأمين، وكانت أصوات سماوية ورائحة عطرية ولذات سماوية تشغف الفؤاد شغفا جعلني أعيب عن وجدي، ثم شعرت بأن يد أمي البتول تقويني قائلة: " قد جرى هكذا أمامك وبك لتفهمي أنه على هذا النمط ينبغي أن يكون دخول البنات في رهبتي هل فهمت؟".

وبعد ذلك رأيت تلك الراهبة الجديدة منفردة تصلي عاكفة طول النهار على الصوم والصلاة ومحبة أمنا مريم البتول، وكنت أظن أنني ساكنة زما طويلا في الدير أنظر فيه مذبحا مزينا لأمي الوردية وراهبة ساجدة أمامه تتلو السبحة ثم تأتي غيرها وتعمل عملها بالمناوبة ليل نهار، وكانت أمي البتول تكرر القول بأنه يلزم أن تكون الوردية دائمة في الدير. الوردية دائما في الدير. يتلوها راهباتي والبنات، وكنت أشاهد الراهبات قاطبة يمارسن طاعة تامة إكراما لأسرار فرح أمي وفقرا جزيلا إكراما لأسرار أجزائها

وعفة وطهارة نقية إكراما لأسرار أمجادها، فكُن بهذه الفضائل الثلاث يكرمن سيدة الوردية فتبتهج بذلك وتزِين أنفسهنّ بالمواهب السماوية وتسكب على أغلبهنّ استعدادا وسهولة ورغبة للسير في طريق الفضيلة والكمال.

بعد هذا كله أصبحت حائرة في كيف ينبغي أن أترك أخويتي التي أحبها حبا جما أعني رهبة مار يوسف إذ كنت مشتركة فيها منذ ثلاث وعشرين سنة مطمئنة موفقة مع رؤسائي وأخواتي ومدارسي وبنات أخويتي، بيد أنني حبا لمريم وإكراما لها عزمت أن أطيع صوتها وأضحى بذاتي في رهبة الوردية المقدسة واثقة بمعونة أمي معتقدة أنها تصحبنى وتعزدي دائما.

غير أنني علما بعجزى وتقصيري عن إنشاء هذه الرهبة قدمت أختي حنة لخدمت أمي البتول فكنت حين أصلي وأناجي أمي أكرر قائلة " يا أمي اقبلي أختي معي فهي أفضل مني امنحها الدعوة إلى رهبة الوردية، وجودي عليها بأن تكره العالم وترفض نصيبه الجيد. وبعد صلوات متواترة شعرت بأنها لبّت طلبي، ذلك إنني نظرت بعدما تناولت القربان الأقدس يسوع عريس نفسي قد قبل أختي حنة عروسا له، وقد نظرت ذلك وسمعته وشعرت بمذاق حلاوة المحبة فابتهج قلبي وهدأ روعي وتيقنت أن أختي أجدر مني وهي قادرة أن تساعدني كثيرا في هذا المشروع، ففرحت أياما كثيرة مبهجة شاكرة الله على قبولها، وهنأت يسوع بعروسه الجديدة ومن ذاك عزمت عزمًا ثابتًا أن أعلن ذلك كله للمرشد الذي تتوخاه أمي، وطفقت أتلو صلوات حارة وأمارس تقشقات جزيلة وأحث البنات ليصلين لأجلي والتمس من أمي ليل نهار أن تتنازل وتطلعنني على ما يلزمني أن أشرح له حالتي ودعوتي وتريني من هو هذا الذي تصطفيه محبتها لإنشاء هذه الرهبة لأن ما كابדתه من المرائر والعذابات من المرشدين الغير الخبيرين اضطرني أن لا أثق بالناس فكنت أصلي والتمس وأترجى منها لتطلعنني بعلامة واضحة عن المرشد الحقيقي وكنت أسألها أن يكون المختار من أبناء جنسنا الشرقيين، إنما كان قلبي مضطربا وكان صوت خفي يناجيني قائلا: "تممي إرادة أمك" وبعد هذا مرضت أختي ريجينا مرضا فظيحا مريعا اتخذته قصاصا لي لأنني أهملت الدعوة إلى رهبة الوردية وتشبثت برهبة مار يوسف وبراحتي وخفت الاحتمال المزمع أن يحل بي من جرى ذلك إذ صرت أقصد تارة وتارة أخالف قصدي أو أريد مرة ومرة لا أريد، ولما كنت يوما التمس من أمي بحرارة شفاء أختي ريجينا ووعدها أنني أنجز رغبتها إذا تكرم الرب علينا بمنال رغبتنا فأخذت من ثم التمس إشارة عمّن يكون المرشد، فكنت أصلي وأبكي وأتهد وأقول: " يا أمي من هو؟؟ ولمن أبلغ سرّك؟"

وأخيرا رأيت إكليلا من نجوم على وجه الأب طنوس الموقر يلمع كثيرا، وتجدد هذا المنظر نحو سبع دفعات في أوقات مختلفة وشعرت بصوت يخاطبني قائلا: هذا هو المرشد المختار من أمي مريم البتول فعزمت أن أقصده وأفاته في ذلك ولكني كنت أخجل وأسكت وأنصرع إلى أمي كي تعينني. لبت شعري ما أصعب فتح القلب وإرشاد الضمير. وفي تلك الغضون تجلت لي أمي في الحلم واقفة بالقرب مني ويسوع الطفل على ذراعها فقلت لها: يا أمي أسعفيني ونوريني . فقالت : " أما فهمت؟ هذا هو المرشد. هذا هو الذي ألهمتك به في الرؤيا والآن أقول لك: " هذا هو الأب المحترم يوسف طنوس الذي وضعت إكليل النجوم على وجهه فإياه أعطيك مرشداً ومديرا لك وأنا أعينه وأجعله أن يهتم ويعتني بتدبير رهبة الوردية". فقلت لها بدالة : يا أمي، كيف تختارينا نحن الفقراء المزدرى بنا؟ لماذا لا تصنعين ذلك في أوروبا في بلاد الأغنياء؟

فتبسمت قائلة: " اذكري يا ابنتي أن من بين الشوك يخرج الورد. وأني في هذه البلاد فرحت وحزنت ومُجّدت. فمنكم وبكم أظهر قوة يدي". فانتعشت وتغلّبت على ذاتي وطلبتُ مرشدي المختار من أمي البتول وشرحت له حالتي ودعوتي وكشفت له أسرار قلبي. وشعرت حالا براحة قلب عظيمة ورحت أسأل أمي مريم كي تعينه وتسهل له ما لا بدّ منه تتميم إرادة الله وإرادتها. ويوم عيد

البشارة لاح لي بعد تناول نور بهي تجلّى خلاله سر العيد المشار إليه. ثم رأيت وردة من نور لامعة خميلة خرجت منها سيدة الوردية وهي واضحة يديها على هامتي شخصين عرفت أنهما كاهنان وكانا يكتفان البتول أولهما الأب أنطون بللوني وثانيهما الأب يوسف طنوس مرشدي وكان السر الأول فوق هامته. وتراءى لي هذا . منظر الوردية مرة أخرى يوم كنت في الناصرة أزور مغارة التجسد فقد أبصرت جلياً وجه مرشدي مستضيئاً خاراً على قدميّ أمي مريم البتول وكانت يدا أمي مبسوطتين إحداهما على هامة أختي حنة والأخرى على هامة من لا يمكنني أن أسميها. إنما رأيت على صدر مرشدي صليبا جميلا .

أسأل الرب أن يعينه على تعميم ما دعاه إليه. على أنني بعدما أطعت مرشدي وكتبت له كل ما عاينت وسمعت وأمرت به بشأن رهبنة الوردية المقدسة شعرت براحة ضمير وطمأنينة لا يمكنني وصفها. وشكرت مراحمه تعالى وفضل أمي البتول لأنه هداني إلى مرشدي الحقيقي الذي أطلعني على بنات كثيرات في أورشليم يرغبن بالحاح أن يفتح لهنّ دير رهبنة على اسم مريم أمي. وهو محتار أي اسم يطلق عليها، على أنه ابتهج بتسميتها رهبنة الوردية وأعتقد بأن أمي الحنون تمنحه الوسائل وأن غبطة سيدنا البطريرك منصور يوافق على ذلك وقد التمسّت عدة بنات في أورشليم الإذن من غبطته مرارا في افتتاح الدير. و بما أن غبطته كان مطلقاً منذ أربع سنوات على حالتي قال إنه يتعذر عليه النهوض بأي نفقة كانت. وأنه واثق بأنه تعالى ومريم أمي يسهلان له الوسائل لإنجاز ذلك. و بعد قليل أمرني مرشدي تكرارا أن اكتب شرح حالتي كيف كانت في دير الوردية زمانا طويلا وكيف رأيت ذاتي والقانون المدرج فيه. وكيف شعرت في حلمي قبل أن يفكر أحد في إنشاء دير الوردية ، فكتبت ذلك كله حرفيا وأثبت جميع ما رأيته وعرفته مما يحب أن يمارس في الدير كما سمعت من أمي مريم البتول حرفيا. وقبل إرسال ذلك إلى مرشدي الموماً إليه رأيت في الحلم أنني بصحبة أمي المحبوبة وهي قابضة على يدي قبضا شديدا وانطلقت معها على سحاب الجو العالي فمررنا بنهر الأردن ومكثنا عدة سنين بين العرب البدو وهناك صار نجاح روحي عظيم في الديانة وخصوصا في أخوية النساء والبنات. وبعد هذا أدركتني مشقات وشدائد وأفراح من دون أن أشعر بها.

لأن مريم أمي كانت اغلب الأوقات معي. وقد رأيتها يوما موشحة بثوب رهبنة الوردية وهي تقبض على يدي اليمنى وتقول : اكتبني هذا لمرشدك وأرسله مع القانون وقولي له أنه بعد ثلاثة أشهر يحدث تبديلك من رهبنة مار يوسف وسيكون ذلك واسطة سهلة لتغيري رهبنتك برهبنة الوردية. ولما استيقظت كتبت ذلك كله متكلّة على ربي وعلى أمي كل الاتكال وشعرت بأن قلبي مستعد لاحتمال ما ينبغي أن أحتمله من الخجل وأتجرعه من الحزن وقدمت ذاتي ضحية تامة لكل ما تريده مني العناية الإلهية. وجعلت أكرر مرارا: "فلتكن يا رب مشيبتك". وكانت نفسي تشعر أحيانا بحزن شديد حتى الموت إذ كنت أفكر في ما يلزمني أن أكابده من العذاب بانتقالي من رهنّتي إلى تأسيس رهبنة الوردية. وكنت أخجل من الناس ومما يقال عني فكانت حيرتي عظيمة وهمي جزيلا لأن طبيعتي حساسة جدا وكانت محبة الذات حيّة فيّ. ولذا كنت أجتو على قدمي أمي باكية كلما كانت تسمح لي الفرصة أكان ذلك ليلاً أم نهاراً. مكررة الهتاف: أمي أمي دبريني وعلمي كيف وماذا يجب أن أصنع. فكانت أمي تسارع إلى معونتي متجلية بعدة أنوار ساطعة تتلألأ بهاءً وجمالاً فانق الوصف وبيدها الوردية تحفّ بها أنوار أسرارها. وتلهمني أن الوردية هي سلاح وقوتي وكنزي مع الله. وعندما كانت تضعف قوى نفسي كنت أتلو الوردية وأكرر الاتكال على أمي الإلهية فأفوز بنعمة وقوة جديدة .

إنشاء دير الوردية

حينئذ بالرجاء باشر مرشدي المشروع الخلاصي ساعياً في خير الأنفس وتعزيز عبادة الوردية المقدس ومنفعة القريب. وفي أول آب 1880 أقبل الأب غرغوري خوري طائفة اللاتين وكرّس الدار التي كان استأجرها مرشدي لافتتاح دير الوردية. وهذه الدار موقعها بين دير المخلص والبطيريركية. فشملت البهجة والسعادة بنات أورشليم إذ أقبلن وقبلن تلك الأعتاب الشريفة وكن سبع بنات. حنّه وربجينا دانيال غطاس، عفيفة حنا متيا أبو صوان، رجينا داوود الكارمي، جلييلة توما عيسى وأمينة عيسى حبش، وكترينا صوان. أما أنا فكننت في رهننتي أنتظر أمري وسروري وراحة قلبي وقد ازدادت بهجتي يوم بشرني مرشدي بافتتاح الدير. واغتبطت بما أخذني عن توفد العبادة والمحبة والأمانة التي كنّ متزينات بها أولئك المبتدئات ومما سرّني جدا أن مرشدي أخبرني أنه لم ير داعيا إلى سنّ قانون لأن أولئك المبتدئات كانت تشغل قلوبهن محبة يسوع ومريم الوردية ومحبة فائقة لبعضهن بعضا مع تواضع عميق واجتهاد متواصل لصنع الخير والسعي في خلاص أنفسهن والقريب.

عرفت رئيستي المحلية بافتتاح دير الوردية ودخول أخواتي إليه فما كان منها إلا أن دفعت إليّ بعد أيام قلائل كتابا فيه تأمري بالرحيل عن بيت لحم إلى بيروت وتقول إنني إن تمنعت عن الذهاب اضطررتني إليه بواسطة الحكومة، وبما أن هذا الأمر لم يكن أمر طاعة قانونية بل دفعها إليه داعي نزوة وامتعاض، قصدت مواجهة النائب العام السيد بسكوال أبوديا لأن غبطة السيد البطيريرك كان يومئذ متغيبا في رومية وأطلعته على الخبر، وبعد الفحص حكم بأني لست مضطرة إلى الخروج من الدير بل يلزمني أن أطلب من الرئيسة العامة ورقة الطاعة ثم أفرغ جهده لدى الرئيسة المحلية كي تتمهل عليّ ريثما أحصل على جواب الرئيسة العامة غير أن الرئيسة لم ترضى، ففضى النائب العام أولا أن أترك الدير الذي أنا فيه أعني دير بيت لحم في الدقيقة التي تريدها الرئيسة أن تبقىني في يافا فأكتب هناك إلى الرئيسة العامة وألتمس منها ورقة الطاعة حسب القانون وهكذا صار، على أنني أدركت أن ما حدث لي وقتئذ كان ذريعة لأتمم إرادته تعالى، ومن ثم فبعد استشارة مرشدي كتبت عريضة إلى قداسة سيدنا البابا لأون الثالث عشر مستمدة من مرحامه أن يفكني من نذر الطاعة كي أبدل رهننتي وأتم بقية نذوري في رهنة أخرى لأني مضطهدة لسبب عمل مبرور. ووجهت عريضتي هذه إلى سيدنا البطيريرك منصور الذي كان مطلعاً على حالتي منذ أربع سنوات. فحصل لي غبطته على الحل من نذري، وبعودته إلى أورشليم دفع إليّ صك التفسيح وأمرني أن أبقى اسمي: الأخت ماري الفونسين الوردية، وأمكث في بيت أبي ريثما يتيسر لي الدخول في رهنة الوردية على أنّ هذه الرهنة عاكسها في أول نشأتها بعض رئيسات رهنة مار يوسف واعترضن على مرشدي وعليّ في ديوان نيافة الكردينال محامي رهننتهن مدعيات بأن مشروع رهنة الوردية يتبطل أعمالهنّ الخيرية. وبناء عليه حضر مفتش من رومية ووجدني في بيت أبي وفحص الأمر وفهمه فزال تلك المعاكسات نوعاً ما وكننت في تلك الأثناء منزوية في غرفة صغيرة ببيت أبي لا أعادها إلا إلى الكنيسة وزيارة القيامة. وكانت محبتي ليسوع ومريم أمي ملتبهة ضمن فؤادي كسعي متوقد. وكثيراً ما كنت تتفقدي أمي مريم وتعزيني وتقويني. وقد جعلت عزلتي هذه بمثابة فردوس وحوّلت فقري إلى سعادة وعذابي وتعبي إلى حلوة وراحة غير أنه كان يشقّ عليّ جداً أني خارجة من الدير فاقدة الطاعة محرومة ممارسة المحبة الأخوية لا يتيسر لي أن أمارس ذلك في خلوتي كما كنت أمارسه في الرهنة. أما غبطة سيدنا البطيريرك منصور فكان يعزيني بقوله: قريبا إن شاء الله تتوشحين بثوب رهنة الوردية وتتوجهين حالا إلى السلط لفتح المدارس فيضمحل حينئذ سبب امتعاض راهبات مار يوسف من هجرك إياهن.

قضيت على هذا الأسلوب ثلاث سنين في بيت أبي حتى زالت المواع. ثم دخلت بأمر صاحب الغبطة دير الوردية وقبلت تلك الأعتاب الشريفة. وكان إذ ذاك وقت الرياضة السنوية فعكفت عليها. وبعد ثلاثة أشهر تشرفت بلبس ثوب رهنة الوردية بيد السيد بسكوال أبو ديا صباح عيد سيدة الوردية في 7 تشرين الأول 1883م. يا له يوم سعيدا به حصلت على راحة قلب حقيقية لأني تمتت إرادة الهي وأكملت أوامر أمي التي أنعمت عليّ بنعم لا تعد ولا تحصى. فكننت اشكرها دائما بحرارة قلبي وفي أول آذار من السنة ذاتها

سميت الأم روزالي رئيسة على ديرنا. وقد شاء الله أن يستخدمها في الرناسة لكي تذيبني جرعة من كأس آلامه المقدسة. فكانت تضطهدني مجانا وتشبع نفسي اهانات شتى وتتهمني بأشياء لا اعرفها. ذلك كله كان يحزنني جدًا. غير أن أُمي الحبيبة كانت تشدد عزمي على الصبر وتفقدني وتعزيني وتغمرنى بنعمها وتعزياتها الحلوة. وأخيرا بعدما أنهيت سنة الابتداء سمح غبطة سيدنا منصور براكو البطريرك الأورشليمي لتسع أخوات أن يبرزن النذور الرهبانية الثلاثة أي الفقر والعفة والطاعة في رهبنة الوردية وهذه أسماؤهن الأخت حنه دانييل، الأخت تريز حبش، الأخت ريجينا كارمي، الأخت فيلومين عبيس، الأخت اليصابات بطرس، الأخت ماري الفونسين. فكانت بهجتنا عظيمة جدا وكان استعدادنا لخدمة الله تعالى والقريب استعدادا تاما. وبعد هذا فوّض إلينا غبطة سيدنا البطريرك منصور إنشاء مدارس في إرساليات أبرشيته. ومضت الأخت اليصابات والأخت لويز إلى بئرزيت. ومضت الأخت تريز والأخت فيلومين إلى الزبادة. وتوجهت الأخت ماري الفونسين والأخت كاترين إلى يافا الجليل. يا له نصيبا سعيدا! فقد أخذنا مذ ذاك نجاهد في سبيل مجد الله بين الأقوام المتوحشين ونسعى في توسيع نطاق ملكوته ونشر عبادة الوردية بكل جهدنا .

ويعجز لساني عن وصف ما شملتنا أُنما البتول في تلك الأثناء من النعم والقوى فكانت عليها السلام ترافقنا دائما وتسدنا بيد معونتها وإسعافها.

فطوبى لعبيدك الحقيقيين يا مريم ! ويا لسعادتهم!

ففي يافا حصلت لنا شدائد قوية وأصابنا وجع في عيوننا زمانا طويلا غير أننا باسم يسوع ومريم نجحنا في نشر التعليم المسيحي والعبادة وكان الناس يلقبونا باسم ((راهبات السلام لك يا مريم)) لأننا تعودنا تلاوة السلام الملائكي بسبحة الوردية في الطرق والبراري ، وإنما نشكر الله تعالى مراحمه الغزيرة لأننا في كل مدرسة فتحناها في رسالاتنا توفقتنا بمعونة الله تعالى وبمساعدة أُنما الإلهية.

هذا ولما ثبّت القانون غبطة سيدنا البطريرك لودفيكس بيافي السامي الاحترام عام 1897 الزمني مرشد الرهبنة أن أضع يدي على المصلوب وأحلف مُصرّحةً بأنّي كما رأيت وسمعت كتبت . فحلفتُ متكلة على المراحم الإلهية وسيدة الوردية .

وكتبت ما كتبت والسلام